المحاضرة الرابعة: التفكير النظري في علم الاجتماع (تكملة)

المأزق الثالث: قضية الجنوسة

لم يهتم كبار السوسيولوجين من المؤسسين بموضوع المرأة ومكانتها الاجتماعية أثناء القيام بالدراسات السوسيولوجية خاصة النظرية منها، على الرغم من أن خطاب المرأة ولد في قلب مشروع الحداثة بأوروبا منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى اليوم بسلسلة متنامية من المفاهيم و المصطلحات و الرموز و الأفكار و النظريات و التصورات، التي نذكر منها الجندر و الجنوسية و النوع الاجتماعي و الأنوثة و الحركة النسوية و الأدب النسوي و حقوق المرأة تحرير المرأة تمكين المرأة مشاركة المرأة الأنوثية الجنسانية تنظيم النسل الهيمنة الذكورية البطريكية ومفهوم القمع ..الخ.

فالراهن الاجتماعي في بعده العالمي لا يمكن أن يغفل هذه المسألة في التحليلات العلمية، ووعليه ويمكن تفسير عدم الاهتمام بمسألة المرأة في التراث الفكري السوسيولوجي كون علماء الاجتماع رجال بالدرجة الأولى وكون الاهتمام في القضايا السوسيولوجية انصب حول الفعل والفاعل بغض النظر عن جنسه ودون تمييز من يقوم به,

وعليه فخطاب المرأة لم يعد يقتصر على الدلالة اللغوية المفهومية بل اخذ يتجسد في جملة واسعة من الممارسات والمستويات التاريخية والاجتماعية والسياسية و الاقتصادية و الثقافية و العرفية و الأخلاقية و الجمالية و الحقوقية، ففي كل مجالات ومن خلال انساق الحياة العاصرة أصبح للمرأة و قضاياها حضورا قويا و فعالا فعلى صعيد المعرفة العلمية على سبيل المثال؛ أصبحت المرأة و لأول مرة في تاريخها ذاتيا

و موضوعا للعلم منفعلة و فاعله فيه إذ ظهرت هناك عدد من العلوم الاجتماعية و الإنسانية الخاصة بالمرأة مثل علم نفس المرأة علم اجتماع المرأة علم انترولوجيا المرأة علم نفس الأمومة وعلم اجتماع الأسرة و علم الخدمة الاجتماعية و المرأة و أنوثة الفقر الفلسفة النسوية و الأدب النسوي و تاريخ النساء و أنوثة العلم أو ابستمولوجيا جديدة ارتبطت بالمرأة.

ان طرح مسألة الجنوسة كمأزق سوسيولوجي يعود بالأساس الى التساؤل التالي: هل يتعين على علماء الاجتماع تحليل القضايا الجنوسية الى عوامل جزئية محددة تؤثر في سلوك النساء والرجال في سياقات مختلفة؟

أم أن الواجب تفسير الفوارق الجنوسية على أساس سمات واختلافات أخرى في المجتمع كالتفاوت الطبقي مثلا؟

مفهوم النظرية النسوية في علم الاجتماع – Feminism

يستند إلى الاعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة لأي سبب سوي كونها امرأة في المجتمع، الذي ينظم شؤونه ويحدد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته وتعتبر النسوية حركة متعددة الجوانب من الناحية الثقافية والتاريخية وقد حظيت أهدافها بتأييد في شتى أنحاء العالم.

ويمكن تقييم مدى فعالية النسوية إذا ما نظرنا إلي الخطاب النسوي ومدى تفعيلة في التفكير على مستوي الحياة اليومية، وقد كان من التحديات الصعبة التي واجهت الباحثات النسويات تعريف النسوية داخل الأطر الأكاديمية.

يميز الفكر الغربي بين الجنس والنوع الاجتماعي باعتبار الجنس مسألة بيولوجية بينما النوع هو تصور اجتماعي، وقد تم إحلال مصطلح الجندر محل مصطلح الجنس في وثائق الأمم المتحدة.

كما يرى دوركايم في دراسته لظاهرة الانتحار ان للرجال والنساء هويات مختلفة وأذواق ونزعات متباينة، لان النساء أقل تأثرا بالتنشئة الاجتماعية، وأكثر ميلا من الرجال الى عالم الطبيعة.

ويرى ماركس بدوره ان الفوارق بين الجنسين ترجع الى ما يتمتع به الرجال والنساء من سلطة/ القوة والمكانة، التي تأخذ شكلها تبعا للتقسيمات الطبقية، ففي المجتمعات البدائية لم تكن التقسيمات الجنوسية معروفة، وعليه لم تكون للرجل سلطة على المرأة الا بعدة نشأة تلك التقسيمات الطبقية، وأصبحت المرأة بعدها شكلا من أشكال الملكية الفردية للرجال عبر مؤسسة الزواج.

المرأة حسبه لن تتحرر من وضع العبودية الذي تعيشه الا عندما تزول التقسيمات الطبقية وتسود المساواة والعدالة الاجتماعية بين جميع افراد المجتمع.

الافتراضات الأساسية للنظرية النسوية:

تنطلق نظرية النسوية في علم الاجتماع من الافتراضات الآتية:

✯تعد الجنوسة نقطة أساسية في تحليل النظرية النسوية للعلاقات الدولية؛ بمعني أن مفهوم الجندر أو الجنوسة بمعناه الاجتماعي يشكل المحور الأساس لأتباع النظرية النسوية كونه يفسر العلاقات الاجتماعية. حيث تتصل المعرفة العلمية اتصالا وثيقا بمفهوم الجنوسة

✯تعكس الجنوسة نوعا من علاقات القوة في المجتمع نظرا إلى أن أتباع النظرية النسوية يعدون مفهوم الجنوسة بناءا اجتماعيا فهو نتيجة علاقات هيمنة من قبل الرجل في المجتمع.

✯يشير أتباع النظرية النسوية إل التميز بين الخاص والعام، وتقسيم العمل الذي جعل المرأة تابعا للرجل ومن هنا نري أن هناك لقاء بين الاتجاهات الماركسية في العلاقات الدولية والنظرية النسوية.

✯يجب إعادة النظر لمفهوم الجنوسة ووظيفته في الفكر الاجتماعي. إن الهدف الأساس لأتباع النظرية النسوية هو تحرير المرأة والإنسان بشكل عام، وهذا لا يمكن أن يتم دون إعادة صياغة مفهوم الجنوسة.

✯لقد ساهمت النظرية السوسيولوجية في تجاهل الطبيعة الجنوسية للمعرفة العلمية، ولعبت دورا هاما في ترسيخ الفوارق الاجتماعية والتقسيمات الطبقية وتبريرها، واضفاء الشرعية على الهيمنة الذكورية.

ان هيمنة الرجال على العالم الاجتماعي هي اسطورة آيلة للزوال، هذا اقتباس عن الفيلسوفة الفرنسية سيمون دو بوفوار، وهي تعبر عن رؤية متفائلة للمستقبل. ومع ذلك، فإن الحقيقة هي أن النساء لا يزالن يواجهن تحديات كبيرة في الحصول على حقوقهن والمساواة في الفرص. خاصة في العالم الثالث.

المأزق الرابع:الماركسية.

علم الاجتماع الماركسي يعني دراسة علم الاجتماع من منظور ماركسي. كما يمكن تعريف الماركسية بذاتها على أنها فلسفة سياسية واجتماعية، لاسيما أنها لحد الآن تحاول أن تبقى علمية ومنهجية وموضوعية وليست معيارية وتوجيهية فحسب. فالمفاهيم الرئيسية لعلم الاجتماع الماركسي تتضمن المادية التاريخية وأنماط الإنتاج والعلاقة بين رأس المال والعمل.

يهتم علم الاجتماع الماركسي بالدرجة الأولى بالعلاقات بين المجتمع والاقتصاد، ولكنه ليس مقتصرًا عليه. كما يهتم علم الاجتماع الماركسي أيضًا بالطريقة التي تُستغل بها قوى الشرطة في السيطرة على السكان الأصليين والشعوب المستعبدة والعمال الفقراء تحت اسم الرأسمالية.

طرح علم الاجتماع الماركسي أسئلة مهمة، منها: كيف يتحكم رأس المال بالعمال؟ كيف يؤثر نمط إنتاج ما على الطبقة الاجتماعية؟ ما هي العلاقة بين العمال ورأس المال والدولة والثقافة؟ كيف تؤثر العوامل الاقتصادية على أوجه عدم المساواة، مثل تلك المتعلقة بالجنس والعرق؟

موضوعات رئيسية في علم الاجتماع الماركسي

الشيء الذي يوحد علم الاجتماع الماركسي هو التركيز على العلاقات بين الاقتصاد والبنية الاجتماعية والحياة الاجتماعية. وتشمل الموضوعات الرئيسية التي تقع ضمن هذه العلاقة:

- سياسات الطبقة الاقتصادية، لا سيما التسلسل الهرمي، وعدم المساواة، وعدم المساواة في مجتمع منظم من قبل الطبقة. غالباً ما تركز الأبحاث في هذا السياق

على الوعي الطبقي وكيف يتم التحكم فيه وإعادة إنتاجه من خلال النظام السياسي، وكذلك من خلال المدرسة كمؤسسة اجتماعية.

- العلاقات بين قوة العمل ورأس المال: ويركز العديد من علماء الاجتماع على كيفية اختلاف ظروف العمل والأجور وحقوق العاملين من اقتصاد إلى آخر (الرأسمالية مقابل الاجتماعية، على سبيل المثال)، وكيف تتغير هذه الأمور مع تحول النظم الاقتصادية، ومع تطور التقنيات التي تؤثر على الإنتاج.
- العلاقات بين الثقافة والحياة الاجتماعية والاقتصاد. اهتم ماركس بالعلاقة بين ما سماه بالبنى التحتية والبنى الفوقية، أو العلاقات بين الاقتصاد وعلاقات الإنتاج وبين العالم الثقافي للأفكار والقيم والمعتقدات والرؤى العالمية.

يظل علماء الاجتماع الماركسيون اليوم يركزون على العلاقات بين هذه الأمور، مع اهتمام شديد بكيفية تأثير الرأسمالية العالمية المتقدمة (والنزعة الاستهلاكية الجماعية التي تأتي معها) على قيمنا وتوقعاتنا وهوياتنا وعلاقاتنا مع الآخرين، وحياتنا اليومية.

- الصلات بين الوعي النقدي والتغيير الاجتماعي التدريجي. حيث تركز الكثير من العمل والنشاط النظري لماركس على فهم كيفية تحرير وعي الجماهير من هيمنة النظام الرأسمالي، وبعد ذلك ، لتعزيز التغيير الاجتماعي المتكافئ.
- غالباً ما يركز علماء الاجتماع الماركسيين على كيفية قيام الاقتصاد ومعاييرنا الاجتماعية وقيمنا بتشكيل كيف نفهم علاقتنا بالاقتصاد ومكاننا داخل البنية الاجتماعية بالنسبة إلى الآخرين.

هناك إجماع عام بين علماء الاجتماع الماركسيين على أن تطوير وعي نقدي بهذه الأشياء هو خطوة أولى ضرورية للإطاحة بالنظم الظالمة التي تمارس التسلط والقهر والاضطهاد لشعوبها.

ختاما:

على الرغم من أن القضايا الأربعة لا زالت تشكل مأزقا نظريا في علم الاجتماع حتى الان، الا أن علماء الاجتماع حاولوا تجاوزها. فمنظور ماركس وايمانه بالحتمية التاريخية والحتمية الاقتصادية فقد الكثير من هيبته بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، غير أنه مازال ملهما للكثيرين، خاصة من داخل المجتمعات الغربية، وهو ما نتلمسه في الفكر السوسيولوجي لمدرسة ما بعد الحداثة.

أسئلة للتمعن والتفكير:

1. هل يجب مراعاة مفهوم الجنوسة في الدراسات المتعلقة بالجريمة والانحراف؟
2. ماهي المفاهيم التي ينتجها الحقل السوسيولوجي في تفاعله بين مفهوم الجنوسة ومختلف ظواهر الجريمة والانحراف؟
3. ماذا تحتاج المرأة في المجتمع الجزائري لتكون شريكا وّندا قويا للرجل في كل مجالات الحياة الاجتماعية؟
4. هل تعد مؤسسة الزواج رمزا لتقييد حرية المرأة والانتقاص من حقوقها؟ أم أن الامر يتعلق بالقيم التي تحملها مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية عن المرأة في المجتمع الجزائري؟
5. مات ماركس، وانتهى الى الزوال ذلك الكيان السياسي الذي احتضن أفكاره، غير ان الماركسية تتجدد مقولاتها وتفسيراتها للواقع الاجتماعي في كل انحاء العالم.

   في رأيك ما هي العوامل التي تعطي هذا النفس المتجدد للفكر الماركسي في كل مرحلة تاريخية؟